المحاضرة التاسعة عشرة

ختام الدورة

تحدثنا في هذه الدورة عن أهم الأمور التي ينبغي على كلِّ شابٍّ وفتاة مقبلَين على الزواج تعلمها قبل الزواج. وإن كنتُ خلال السنوات الثلاث لتحضير هذه الدورة وجدت عناوين أخرى تتزاحم في فكري، وتَقَع بين يديّ، وكنتُ أراها مهمَّة للذِّكر وجديرة بالبحث في هذه الدورة، لكني سأكتفي بهذه المحاضرات التسع عشرة، ولعلّي -مستقبلاً- آتي على تتمَّات واستكمالات لهذه المواضيع.

تحدثنا في هذه الدورة عن:

١- دعوة الإسلام إلى الزواج.

٢- حكم الزواج.

٣- دوافع الزواج.

٤- التأهيل النفسي للمقبلين على الزواج.

٥- خمس نقاط حول الزواج.

٦- الخطبة.

٧- اختيار الزوجة.

٨- اختيار الزوج.

٩- عقد الزواج.

١٠- بين العقد والعرس.

١١- ليلة العرس.

١٢- الرسول الزوج.

١٣- واجبات الزوجة تجاه زوجها.

١٤- كيف تؤثر في قلوب القريبين منك.

١٥- ماذا يريد الرجل من زوجته، وماذا تريد منه.

١٦- قواعد مهمة لاحتواء المشكلات الزوجية.

١٧- ميزانية الأسرة.

١٨- الطلاق.

١٩- ونَصِل هنا إلى: (ختام الدورة).

وإني أرى هذه الدورة ضرورية جداً للشباب والشابات في الحياة الزوجية، والكلمة التي أريد أن أختم بها، وهي خلاصة مكثَّفة لكل ما مرَّ، وهي خير ما ينفعُك في حياتك الزوجية: **(إذا كان شرع الله حاكماً بينك وبين زوجك تولى الله التوفيق بينكما، وإذا رُفِعَ شرعُ الله من البيت تولى الشيطان التفريق بينكما)**. لأجل ذلك تقول لوالد

زوجتك عندما تتزوج: زوِّجني ابنتك على كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ. يقول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ١٦/ ٣٠].

أما إذا رُفع شرع الله من البيت فإن القانون الإلهي يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ٢٠/ ١٢٤].

وسأورد في هذه المحاضرة وصيَّتين: الأولى أوصتها أمٌّ لابنتها في ليلة عرسها، والأخرى أوصاها أبٌ لابنته وصهره في ليلة عرسهما.

الوصية الأولى

وصية المرأة لابنتها

حبذا لو تُكتب هذه الكلمة والوصية على بطاقات الأفراح؛ لأنها تنفع كلّ فتاة مقبلة على الزواج مهما كانت رتبتها.

كان الحارث بن عمرو ملكاً لكندة، خطب إلى عوف بن مُحَلِّم الشيباني ابنتَه، فلما كان يوم بنائه بها وأرادوا أن يحمِلوها له قالت لها أمها:

«أيْ بنيَّة، إنَّ الوصية لو تُرِكَت لفضلِ أدبٍ لتُرِكَت لذلك منكِ، ولكنَّها تذكرةٌ للغافل، ومعونةٌ للعاقل، ولو أنَّ امرأةً استغنَت عن الزوج لغنى أبويها، وشدَّة حاجتهما إليها، كنتِ أغنى الناس عنه، ولكنَّ النساء للرجال خُلِقنَ، ولهنَّ خُلق الرجال.

أي بنيَّة، إنَّك فارقتِ البيت الذي منه خَرَجتِ، وخلَّفتِ العشَّ الذي فيه دَرَجتِ، إلى رجلٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تألفيه، فأصبح عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أمةً يكن لك عبداً، واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً:

أما الأولى والثانية: فالعيش معه بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقُّد لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عينُه منك على قبيح، ولا يشمَّ منك إلا أطيبَ ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقُّد لوقت منامه وطعامه، فإنَّ تواتُرَ الجوع مَلْهَبَة، وتنغيص النوم مَغْضَبَة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله والإرعاء -أي الرعاية- على حَشَمه وعياله، ومِلاكُ الأمر في المال: حسن التقدير، وفي العيال: حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصي له أمراً، ولا تُفشي له سراً، فإنك إن خالفتِ أمرَه أوغَرتِ صدرَه، وإن أفشيتِ سرَّه لم تأمني غدرَه.

واعلمي أنك لا تَصِلين إلى ما تحبِّين حتى تؤثِري رضاه على رضاكِ، وهواه على هواكِ فيما أحببتِ أو كرهتِ، والله يَخِير لك».

هذه وصية الأم، وإليك النتائج:

ثم احتُمِلت -أي: زُفَّت- الفتاة إلى زوجها الملك، فعظُمَ موقِعها منه، ووَلَدَتْ له سبعة ملوك مَلكوا بعدَه اليمن [1].

(١) عن كتاب: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، تأليف عبد الله عفيفي، ١/ ٩١.

الوصية الثانية

وصية أبٍ لابنته وصهره في ليلة عرسهما

سمعتُ هذه الكلمات من فم أب ثري يوصي بها ابنته وصهره في حفل زفافهما، وما سُرِرتُ بعرسٍ سروري بهذا العرس لسماعي هذه الوصية من أب عاقل واعٍ يعرف معنى الزواج ومعنى التأهيل للزواج...!

استأذن والد العروس الحاضرين في حفل زفاف ابنته أن يقرأ هذه الكلمات:

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أرحِّب بكم جميعاً، وأعلن أن فرحتي اليوم فرحتان، الفرحة الأولى: فرحة الحدث السعيد الذي اجتمعنا لأجله، والفرحة الثانية: هي فرحة الاجتماع بهذه الوجوه النيرة التي نبادل أصحابها الكرام كلّ المحبة.

نشكر كلّ من لبَّى الدعوة، ونلتمس عذراً للذين لم يحضروا.

نجتمع اليوم لنُشهِر ونُعلِن أننا نقوم بتأسيس أسرة جديدة، لَبِنة طيبة تساهم في بناء المجتمع، الذي نسعى جميعاً ليكون مبنياً على أسسٍ إسلاميةٍ صحيحة وملتزمة وسليمة وواضحة.

اليوم، وكما تنتقل كريمتنا من خانة والدها في السجلِّ المدني إلى خانة زوجها، فهي أيضاً تنتقل من مسؤولية والدها إلى مسؤولية زوجها، فاليوم أقدّمُ لعريسنا أغلى ما عندي، وقد بَذَلتُ ما بوسعي من جهدٍ في تربيتها وتعليمها، لقد سعيتُ ما استطعت أن أزرع فيها بذور العقيدة الصحيحة، والفطرة السليمة، وقد نَبَتَت البذور وَنمَت وأزهَرَت، وصارت جاهزة للإثمار والحمد لله.

لقد احتجتُ إلى الشَّد والحزم تارةً، وإلى التساهل والرفق تارةً أخرى، وما بين اللين والقسوة استطعتُ أن أفخر اليوم بأن ابنتي فتاةٌ عارفةٌ بحدود الله، متعلِّمة مثقَّفة، تعلَّمَت واجباتها، وعرفت حدودها.

أيها الإخوة، إن قبول الخاطب مسؤولية كبيرة تقع على عاتق الوالد بالدرجة الأولى، وكنت دائماً أخشى إبداء رأيي لمعرفتي بدقَّة الأمر، وأحمد الله أنه مع كثرة الخاطبين لم تصل ابنتي ووالدتها إلى مرحلة الموافقة المبدئية قبل أن يأخذا رأيي، وفي كل مرة كنتُ أبني في ذهني صورةً للزوج المناسب لابنتي، إلى أن أتى عريسنا، حفظه الله، فانشرَح صدري عندما علمتُ مَن هم أهله، فقد عرفتهم منذ زمنٍ بعيد بحكم القرابة بيننا، وأوَّل ما قلتُ في نفسي: هذه هي (الحَماية) التي أطمئن أن تكون ابنتي كنَّتها، وهذا هو الشاب الذي أرضى بدينه وخُلُقه، وهذه هي العائلة التي ستحتضن ابنتي، ودعوت: اللهم تمم بخير.

والآن أنصح ابنتي وأخاطبها فأقول:

مطلوبٌ منك يا بنتي المؤمنة أن تكوني مطيعةً، أدِّي ما عليكِ، واطلبي من الله ما لكِ، وتذكري أن القناعة والرضا مع الإيمان هي مفاتيح السعادة.

ومطلوبٌ منك يا بُني -للعريس- أن تكون رؤوفاً عطوفاً، تستمتع بما عند زوجتك من خصالٍ تحبها وتحمدُ الله، وتصوِّب ما لا تحب من خصالها باللين والمحبة، كن حازماً ولا تتساهل أبداً فيما لا يُرضي الله، وإياك والغضب، فإنه أحدُ مفاتيح التعاسة وخراب البيوت.

ومطلوبٌ منكما التسامح، فكلَّما رأى أحدكما عيباً أو ما لا يروق له في زوجه فليتذكر أن الكمال لا يكون إلا لله وحده، وأن الإصلاح يكون بالحسنى، وأن لكلٍّ منكما دوره، فلا يبغِ أحدٌ على شريكه، ولتتعاونا على صعاب الحياة لتهون عليكما.

في ختام كلمتي، لا يَسَعني إلا أن أدعو الله للعروسين بخير الدعاء من كتاب الله عزّ وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٧٤]. ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ [غافر: ٤٠/ ٨]. صدق الله العظيم).

وهكذا تنتهي الدورة التأهيلية للحياة الزوجية، ومنيَتي أن نصل إلى يوم لا يتزوَّج فيه شابٌّ ولا فتاة حتى يخضع كل منهما لمثل هذه الدورة، ولعله يخضع بعدها لامتحان نظري نسأله فيه عن المعلومات الواردة في الدورة، ثم لامتحان عمليّ يتدرَّب فيه الشاب على كظم الغيظ، والهدوء، وحُسن التعامل مع زوجته، وكذلك تتدرب الزوجة، فإن نجحا زوجناهما، وإلا فلا!!!

نسأل الله تعالى أن يوفِّقنا لكلِّ خير، وأن يباعدنا عن كل شرّ.

اللهم إنَّ مفاتح التوفيق في يدك، فنسألك أن توفق بين كلِّ زوجين مسلمَين، وأن تعين كلَّ متزوجٍ على طاعتك، وأن تحسِّن لنا أخلاقنا.

اللهم أصلح أقوالنا وأفعالنا وأخلاقنا وما في قلوبنا، اللهم أصلح لنا في ذرياتنا، وتوفنا مع الأبرار.

اللهم هيِّئ لكلِّ شابٍّ عزب داراً واسعة تؤويه، ورزقاً حلالاً يكفيه، وزوجة صالحة موافقة ترضيه، وهيئ لكلِّ فتاة عزبة زوجاً صالحاً، حسنَ الخَلْق رضيَّ الخُلُق.

اللهم أعن المتزوج، وأغنِ كلَّ زوجٍ بزوجه، ولا تجعل للشيطان علينا سبيلاً.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٧٤]. آمين.

والحمد لله رب العالمين